



بات من المؤكد أن الأحداث التي سبقت وتزامنت مع محادثات جنيف 3، منحت النظام السوري حظوظاً أوفر، فجعلته أكثر توازناً، وتحديداً مع بدء الغارات الجوية الروسية في 30 أيلول (سبتمبر) الفائت، قابله إرباك في صفوف الهيئة العليا للمفاوضات بسبب مجموعة عوامل رئيسة أهمها:

أولاً، عدم قدرة المعارضة المعتدلة ميدانياً على مضاهاة «داعش» و«النصرة»، في مقابل الوحدات الكردية وقوات النظام.  
ثانياً، استمرار تحالف العديد من فصائل «الحر» مع «جبهة النصرة» المدرجة أممياً على لائحة الإرهاب، وهو أمر يعرف كيف يستغله النظام سياسياً في المحافل الدولية.

ثالثاً، الخطأ في القراءة الاستراتيجية لـ«كيفية إسقاط النظام»، والرهان على أن الروس سيبيعون نظام الأسد، وأن الولايات المتحدة بلحظة ما ستبارد لإسقاطه، ليتضح أن الإدارة الأمريكية هي من يبيع ويشتري، وأن الروس كانوا أصدق مع حليفهم، وقد تدخلوا منعاً لانهياره.

رابعاً، تمدد «داعش» خارج العراق وسوريا، وهنا تأتي تفجيرات باريس المريرة عشية اجتماع فيينا في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) الفائت، لتلقي بثقلها على القرار 2254 ومعه جنيف 3، حيث تقدم مفهوم الأمن والاستقرار على الديمقراطية والانتقال السياسي كما نص عليه جنيف 1، وهو ما عكسته كلمة لافروف: «إن هجمات باريس لا بد أن تتعكس على أجواء فيينا»! في رسالة إلى فرنسا لترجع قراءة موقفها. وهذا ما جاء واضحاً حينها، على لسان لوران فابيوس بقوله: «إن أحد أهداف اجتماع اليوم في فيينا هو، تحديداً، أن نرى في شكل ملموس كيف يمكننا تعزيز التنسيق الدولي في مجال مكافحة داعش».

في هذه الأجواء، حضرت مقررات فيينا في القرار الدولي 2254، والتي كانت بمثابة إنجاز إضافي بالنسبة للنظام وحلفائه، قبل الذهاب لمباحثات جنيف 3 وهذا ما عدته المعارضة انقلاباً على جنيف 1، وتخلياً من الراعي الأميركي، بدليل تهديد الهيئة

العليا للمفاوضات بالمقاطعة، وحديث رياض حجاب عن تهديد تلقيه الهيئة، في اجتماعها بالرياض مع الوزير كيري، من أجل الذهاب إلى جنيف والقبول بحكومة وحدة وطنية موسعة، وإلا فالإدارة الأميركيّة ستوقف دعمها للمعارضة!

أمام واقع الحال هذا، بدت المعارضة وكأنها تسير في حقل الغام، فالمفاوضات مطلب أميريكي- روسي، أممي، والمقاطعة ستكون هدية مجانية تقدمها للنظام، كما أن المضي بها ضمن هذا المسار، يعني تسليمها بشرعية الأسد ونظامه. لذلك تحركت الرياض مع حليفها التركي وأصدقائها الأوروبيين، لمنع انزلاق المسار التفاوضي، بما يخدم الأسد وحلفائه، وهنا أعادت فرنسا وبريطانيا تأكيد رفض أي دور للأسد في المرحلة الانتقالية. وصعدت المعارضة موافقها، مشترطةً ذلك بالحصار عن المدن والبلدات التي يحاصرها النظام، وايصال المواد الغذائية الإغاثية والطبية، قبل الدخول في أي مفاوضات. وفي هذا السياق، جاءت صور مجاعة مضاعفة لتحرك الرأي العام العالمي، فسجلت المعارضة نقطة على النظام، فرد الأخير بحصار كفريا والفوهة المواليتين للنظام وزاده بحصار «داعش» لمدينة دير الزور، وقيام الطيران الروسي بإلقاء المساعدات الغذائية جواً، وذلك للتخفيف من حدة الحملة الإعلامية عليه.

مع هذه الأجراءات التي بدت لمصلحة المعارضة، ضرب «داعش» بتجهيزات انتشارية مزدوجة مناطق موالية للنظام في حمص والسبعين زينب بدمشق، مخلفةً أعداداً كبيرةً من الضحايا والجرحى، ليعود الإرهاب لتتصدر المشهد السياسي، ولتدخل المفاوضات حالة ركود، اصطدمت بإصرار وفدي المعارضة والنظام على عدم تقديم أي تنازل.

وهنا أعلن بوتين في شكل مفاجئ، سحب الجزء الأكبر من قواته، بعد ضمان هدنة وقف إطلاق النار، على هشاشتها، بالتنسيق مع الجانب الأميركي، وذلك بحجة المساعدة في دفع العملية التفاوضية، ما رأت فيه المعارضة والرياض خطوة إيجابية.

أمام هذا المستاييكو في مفاوضات الجولة الثانية، جاء حديث كيري أمام الكونغرس قائلاً: ربما يفوت الأوان لإبقاء سوريا موحدة إذا انتظرنا فترة أطول. وليعلن في شكل مفاجئ الحاجة للخطبة بـ التي ستحدد خلال شهر! تبعه كلام رياشكوف نائب وزير الخارجية الروسي عن الفيدرالية، وعليه تحرك الأكراد في الشمال السوري ليعلنوا فيديراليتهم.

صحيح أن روسيا نفت علمها بوجود خطة "ب" ورفضتها، وأن البيت الأبيض رفض الاعتراف بالخطوة الكردية، إلا أن ذلك كان كفيلاً بذهاب رئيس الوزراء التركي إلى طهران، خوفاً من قيام دولة كردية، لا يستطيع منها، في ظل علاقة متواترة مع واشنطن وعداؤه مع الكرملين، فتقاربت تركيا خطوة مع إيران، مقابل تريثها في الموضوع السوري!

يبقى موقف الاتحاد الأوروبي ومن ورائه الفرنسي والبريطاني، الداعم للمعارضة، والذي لم يكن بمنأى عن النقد واللوم الأميركي، وهذا ما اعترف به أوباما لمجلة «أتلانتك» معتبراً أن دعمه للتدخل العسكري الذي شنه حلف شمال الأطلسي في ليبيا كان خطأ، نتج في جزء منه من اعتقاده المغلظ بأن بريطانيا وفرنسا ستتحملان المزيد من عبء العملية. كما وصف أردوغان بالمستبد، واتهمه بعدم رغبته في استقرار سوريا!

بعدها بأيام، وبتاريخ 22 آذار (مارس) أصاب إرهاب «داعش» قلب عاصمة الاتحاد الأوروبي بروكسل. وأمام هذا المنعطف الخطير بالأحداث والمواقف الأميركيّة، سارعت الوزيرة الأوروبيّة موغربي إلى مقابلة بشار العفري، معتبرةً أن إنهاء النزاع السوري سيتيح التركيز على التصدي لـ «داعش»، وقال العفري: ناقشنا في شكل مسهب أهمية التعاون مع الحكومة السورية في مكافحة الإرهاب!

وأمام مشهد العجز الأوروبي، كان الجيش السوري يستعيد مدينة تدمر الأثرية من «داعش»، ويلقى ترحيب الأمين العام للأمم

المتحدة، فيما الجعفري يمد اليد للأميركيين لمكافحة الإرهاب! بهذا المناخ يخرج الأسد واثقاً ومنتقداً السعودية وتركيا وفرنسا وبريطانيا، عارضاً على المعارضة الدخول في حكومة وحدة وطنية! وهنا لسنا في حاجة لكثير من التمحيص، لدرك مدى التقاطع مع المواقف الأمريكية، إذ يبدو أن نظام دمشق قد نجح أخيراً، في رقصة الفالس مع الشيطان الإمبريالي!

[الحياة اللندنية](#)

المصادر: